مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية-المجلد الأول- العدد الأول(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)

# خوارق العادات بين السلف والمتصوفة

**الدكتور / محمد بن عبد الله البريدي**

**الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة ، جامعة الملك خالد**

**ملخص:**- اشتملت هذه الدراسة على أن الخوارق كل أمر خالف ما اعتاده الناس من جريان الأحداث والأكوان ، هذه الخوارق منها المعجزات ، ومنها الكرامات ، ومنها الأحوال الشيطانية .

وقد وضحتُ أن هذه الأمور قد تشتبه على بعض الناس ولاسيما ما يحدث لأولياء الله وما يحدث لأولياء الشيطان ، وبينتُ سبب كل منهما .

فالكرامات سببها الإيمان والتقوى ومتابعة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وأمَّا الأحوال الشيطانية فيكون سببها الفسوق والعصيان ومساعدة الشياطين وهي تتنوع بحسب طاعة أوليائهم وتقربهم إليهم .

ومن ذلك ما يكون بسبب بعض الحيل والرياضات وخفة الحركة وكان من الضروري الإشارة إلى تفسير ما يحدث في بعض المجتمعات من أمور غريبة في حلبات السيرك وغيرها .

وقد بينت موقف السلف من تلك الخوارق،وأنهم لايجعلون كل خارق دليلاً على الولاية ولا الصلاح ، واستخلصت بعض الضوابط للأحوال الرحمانية ومن ثَمَّ التفريق بينها وبين الأحوال الشيطانية والشعوذة والحيل .

ثم بينت موقف الصوفية من تلك الخوارق واعتمادهم عليها في إثبات الولاية وبينت خطأهم في ربط الخوارق بالولاية وكونها الدليل الأقوى على محبة الله تعالى لمن حصلت له تلك الأحوال ، ثم ذكرت أنَّ هذه لم تكن طريقة السلف ولا الأئمة السابقين ولا حتى الصوفية السابقين ، وأشرتُ إلى مبالغتهم في الكرامات ، وكذبهم في كثير منها ، ثم ذكرتُ أقسام الصوفية في كيفية الحال التي تحدث فيها تلك الأحوال والكرامات المزعومة ، وبينتُ الصواب في ذلك .

وخلصتُ إلى أن الولاية والكرامة محض هبة ربانية ومنحة رحمانية يتفضل بها الله على من يشاء من عباده ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

**المقدمة :**

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلاَّ الله وحده لاشريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد :

فإنَّ الله – عزّوجل – خلق هذا الكون بقدرته ثم أودع فيه أسراراً من حكمته ، قال تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(١) ، وقد جعله – سبحانه وتعالى – يسير وفق سنن جارية محكمة وقوانين مطردة ثابتة لاتتعارض ولاتتخلف ، ورتبه على نظام الأسباب والمسببات وربط فيه النتائج بالمقدمات ، وأودع في الأشياء خصائصها وصفاها ، ثم إنه – عزّوجل – جعل النظام الكوني كله محكماً بديعاً متناسقاً لا متفاوتاً متناقضاً ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾(٢) كل بنظام معين كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ... كل يجري لأجل مسمى ، وذلك وفق قانون محكم اعتاده الخلق وألفوه على تلك السنن والعادات ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾(٣) .

فعادته في خلقه – سبحانه – وسنة لاتتبدل ولاتتغير ، وإذا خرج عن ذلك فلسبب قضت به حكمته إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل ، فإذا لم ترتبط الأسباب المعروفة بالنتائج المعهودة وخرقت عن العادات المألوفة في الكون فإنَّما هو بإذنه وحده وقدرته وحده ولحكمته البالغة التي حارت فيها العقول والأفهام ، لايُسأل عما يفعل ولا معقب لحكمه – عزّوجل – .

وقد أخبر – سبحانه – عن طرف من تلك السنن الجارية والسنن الخارقة في كتابه الكريم ، كانشقاق القمر وفلق البحر وخروج الناقة من الصخرة وقلب العصا حيَّة وغيرها ، وتلك حقائق عرفها الناس ثم

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١٧ .

(٢) سورة الملك : من الآية ٣ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢٣ .

رآها فئام منهم وهي تخالف ما اعتادوه من خلقها ، وقد تناقلوها سواء في الكتب المنَزَّلة أو الأخبار المتوارثة المتواترة ، و لم تكن مجرد أوهام أو خيالات بل هي آيات بينات ودلائل واضحات أجراها الله على أيدي بعض عباده من الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أو جرى ما يشابهها على أيدي أتباع الرسل من عباد الله الصالحين ، وهذه الخوارق كلها تدل على أن الله وحده هو الذي يفعل ما يشاء ويختار لاتحكمه الأسباب والمسببات والقوانين والعادات ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٤) .

وهذه الخوارق تحصل على أيدي الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – ، لتكون شاهد صدق على ما جاءوا به من الهدى والحق ، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ،وتسمى آيات وبراهين النبوة، وهذا ما تعارف عليه السلف والأئمة المتقدمون كالإمام أحمد(٥) – رَحِمَهُ اللهُ – ، وأمَّا غيرهم من النظار فيسمونها معجزات الأنبياء .

قال الإمام ابن تيمية – رَحِمَهُ اللهُ – : " وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة ، وإنَّما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان "(٦) .

وقد تحصل بعض الخوارق على أيدي عباد الله الصالحين من الأولياء لتكون شاهدة بصدق ما عليه الولي المتابع للشرع فتكون ناطقة بصدق النبوة الصادقة ، وتسمّى كرامات وخوارق ومعجزات أيضاً(٧) ، وليس لها أنواع محددة بل يكرم الله بها من يشاء بما يشاء وتكون دون معجزات الأنبياء ، ولكن لابد من كون الخارق مخالفاً للنظام الطبيعي الذي ألفه قوم ما ، بمعنى خرق السنة المعهودة الجارية في أمر من الأمور على يد صاحب الخارق ، ثم إن التحدي الصريح ليس شرطاً بل التحدي الحكمي(٨) الذي

(٤) سورة يس : الآية ٨٢ .
(٥) ينظر : مجموع الرسائل والمسائل (٢/٥) ، والجواب الصحيح (٤١٩/٥) .
(٦) الجواب الصحيح (٤١٢/٥) .
(٧) ينظر : الجواب الصحيح لابن تيمية (٤١٩/٥ – ٤٢١) .
(٨) ينظر : القرآن والنبوة ، د . ميهوب ، ص ١١٧ .

يفهم من واقع الحال والمقام عند دعوى النبوة وظهور المعجز الذي يكون للنبي ، وقد يكون من جنس ما يتعاطاه ويتفوق فيه أهل زمان صاحب المعجزة(٩) .

وأمَّا صاحب الكرامة وهو الولي الصالح فلا يدعي النبوة ؛ لأنه لو فعل ذلك لانقلب كذاباً ، ولا يشترط في ما ظهر له الإشهار والتحدي دائماً ، بل قد تكون له من باب المعونة أو التثبيت ، وإذا لاحظنا حال الكرامة نجد أنها في الغالب في مستويات أقل من مستويات المعجزات كما أنها في الغالب تكون بصورة ليس لها صفة الظهور للجماهير الكثيرة أو الانتشار العام بين الناس(١٠) .

وهذا بخلاف معجزات الأنبياء التي يكون لها الظهور والانتشار والبقاء لفترات أطول بحسب ما أراد الله - عزّوجل - أن يتحدى بها كما في معجزة القرآن الكريم الذي تحدّى الله - عزّوجل - بها الثقلين من الإنس والجن ، فهو المعجزة الخالدة والآية الباقية والبرهان الساطع على نبوة محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - ، وهو (( الوحي المدعى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه ولايفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي ، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه ))(١١) .

وسأركز الحديث في هذا البحث أكثر شيء على نظرة كل من السلف والمتصوفة إلى خوارق الأولياء ؛ لأنها هي التي قد يشتبه فيها حال النبي بحال الولي على بعض الناس هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد يشتبه بسببها على البعض الآخر حال الأولياء بحال الأدعياء من السحرة والمشعوذين ومن دونهم من أهل الحيل ، وهذا هو الأكثر وخاصة بعد مبعثه - عليه الصلاة والسلام - ؛ لأن دعوى النبوة بعده تكون كذباً ودجلاً لايخفى أمرها على أهل الإيمان ، وأخيراً لعل هذا البحث يسهم في توضيح ما يجري في بعض المجتمعات من أعمال تخرج عما ألفه الناس واعتادوه ، وتكشف حال أصحابها وما يمارسونه أمام الناس فيأخذ الكثير منهم الدهشة والحيرة ..

وقد قسمت البحث إلى هذه المقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة .

الأول : في المقصود بخوارق العادات وأبرز الآراء فيها .

والثاني : في موقف السلف من خوارق العادات .

---

(٩) الإتقان للسيوطي (١١٩/٢) ، وأعلام النبوة ص ٥٧ .

(١٠) ينظر : العقيدة الإسلامية ، عبدالرحمن الميداني (١٢٦/٢) .

(١١) مقدمة ابن خلدون (١٦٥/١) ، ط : دار الكتاب اللبناني - بيروت سنة ١٩٧٩ م .

والثالث : موقف الصوفية من خوارق العادات .

أمَّا الخاتمة فتتضمن أهم نتائج البحث .

**المطلب الأول : المقصود بخوارق العادات :**

لقد كثر الاختلاف في تحديد معنى خوارق العادات وأنواعها وشروطها والفروق التي بينها ، ولم تكن كل تلك الشروط والحدود والفروق في مجموعها قضايا مسلمة بل كان منها المقبول ومنها المرفوض ، ولهذا كانت هناك آراء غريبة وتعريفات مختلفة لسنا بصدد الخوض في دقائقها بل نكتفي بما يحصل به المقصود من ذلك – إن شاء الله تعالى – .

أ ) – تعريف خوارق العادات لغة واصطلاحاً :

يُمكن أن تعرف (( خوارق العادات )) باعتبارين :

أحدهما : باعتبار مفرديه : خوارق وعادات .

وثانيهما : باعتبارها اسماً مركباً تركيباً إضافياً له دلالة خاصة على أمور معينة .

فأمَّا بالاعتبار الأول : فتعرف كل كلمة على حدة : خوارق ، وعادات . وذلك لأن كلاً من هاتين الكلمتين تعطي مدلولاً في حال انفرادها لاتعطيه في حال التركيب والإضافة إلى غيرها .

ولما كانت معرفة المضاف متوقفة على معرفة المضاف إليه لما تكسبه الإضافة من التقييد أو التخصيص كان من المستحسن البدء بمعرفة المضاف إليه أولاً وهو في هذا المقام (( العادات )) .

فالعادات في اللغة : جمع عادة وهي الديدن ، سميت بذلك من العَوْد ، أي الرجوع لصاحبها يعاودها أي يرجع إليها مرة بعد أخرى(١٢) ، أو هي ما استمر الناس على حكم المعقول وعادوا إليه مرة بعد أخرى(١٣) ، وقال الراغب (ت ٥٠٢ هـ) : العادة اسم لتكرير الفعل والانفعال حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه كالطبع ولذلك قيل العادة طبيعة ثانية(١٤) .

---

(١٢) محيط المحيط ص ٦٤٢ .

(١٣) التعريفات للجرجاني ص ١٤٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ص ١١٥٦ .

(١٤) المفردات للراغب ص ٣٥٢ .

وجاء في الأشباه والنظائر : العادة ، عبارة عما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطبائع السليمة(١٥) ، وإنّما تعتبر العادة إذا اطردت ، فإن اضطربت فلا(١٦) .

وعلى هذا فالعادة لاتثبت إلاّ بالتكرار على أن يكون للطبع السليم والعقل المستقيم مدخل في تقريرها ، وما لم يتكرر لايكون أمراً عادياً ، كما أن اتفاق أصحاب الطبائع المنحرفة والعقول السقيمة لايكوّن العادة مهما تكررت وتعارفوا عليها(١٧) .

قال الإمام ابن تيمية : (( قد علم عادته – سبحانه – في طلوع الشمس والقمر والكواكب والشهور والأعوام ، وعادته في خلق الإنسان وغيره من المخلوقات وعادته فيما عرفه الناس ))(١٨) ، وقال في موضع آخر : (( فهذا كله يبين أن سنة الله وعادته مطردة لاتُنتقض في إكرام مصدقي الرسل وإهانة مكذبيهم ))(١٩) .

والذي يظهر من كلام العلماء أنهم يقسمون العادات إلى ثلاثة أقسام :

عادات تعارف عليها البشر ، فهذه تختلف بحسب الأمور والبلدان والأجناس ، فهذه لا ضابط لها كما ذكر ابن تيمية أنها (( أمر إضافي فقد يعتاد قوم ما لم يعتاده غيرهم ))(٢٠) ، وهذه ليست موضوع البحث .

وعادات تتعلق بفعله – سبحانه – من إنجاز وعده لرسله وأتباعهم ونصرهم على مكذبيهم ، وهذه لاتخرق ولاتتبدل وإن قالوا متى نصر الله ؟ .

وعادات كونية تتمثل في قوانين الطبيعة وخواص الأشياء وربط الأسباب بالمسببات ، وهذه هي المقصودة هنا ، فمتى ما حصل خرق لها كانت بحسب ما تقتضيه حكمة الله وعدله – عزّوجل-(٢١)

---

(١٥) محيط المحيط (١٤٩٤/٢) .

(١٦) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١١٠ ، وانظر : محيط المحيط (١٤٩٤/٢) .

(١٧) ينظر : خوارق العادات في القرآن الكريم للحميضي ص ١٠ .

(١٨) النبوات ص ٢٦٣ ، (٩٥٩/٢) تحقيق : الطويان .

(١٩) النبوات ص ٢٦٩ ، وانظر : الجواب الصحيح (٤٢١/٦) .

(٢٠) النبوات ص ٢٣٣ ، (٨٦٧/٢) تحقيق : الطويان .

(٢١) ينظر : النبوات ص ٢٣٣ وما بعدها ، الجواب الصحيح (٤٠٠/٦ – ٤٠٤) ، النبوات ، تحقيق : الطويان (٤٥٣/١ ، ٤٦٠) .

وهي تدل على صدق النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وكذلك إذا حصل خرق في قوانين الطبيعة وخواص الأشياء لولي ، فليس ذلك إلاّ لصدق الرسول الذي اتبعه الولي .

أمّا إذا أتينا إلى كلمة ( خوارق ) :

فهي في اللغة : جمع ( خارق ) والخرق بمعنى : الشق أو الثقب ، وجاء في أساس البلاغة : خرق الثوب وخرّقه وسع شقه(٢٢) ، وفي لسان العرب الخرق الشق(٢٣) ، ويطلق على الثقب في الحائط وغيره(٢٤) ، وهذا الإطلاق يكون على الحقيقة لا المجاز ، أمّا في مثل قوله : خرقت المفازة بمعنى قطعتها حتى بلغت أقصاها ، فهو على المجاز ، وخرق الكذب وخرّقه واخترقه وتخرقه اشتقه(٢٥) ، وخرق العادة تجاوزها ونقضها ، ومنه قولهم : لله خرق العوائد ، والخارق اسم فاعل ، وفي عرف العلماء : هو الأمر الذي يخرق العادة جمع خوارق(٢٦) .

وبناء على ما تقدم تبين أن الخارق في اللغة يطلق على أمرين :

مادي ، وذلك حين يأتي على الحقيقة .

والثاني : معنوي في حالة كونه من باب المجاز .

فالأول : بمعنى النفوذ كالشق في الثوب والنافذة في الحائط والشق في الأرض والخرق في السفينة .

والثاني : المعنوي : كصنع الكذب واختلاقه ، وقطع المفازة وكثرة العطاء والجود .

ومن المعلوم أن كلا منهما في مقدور البشر وحدود استطاعتهم وجوداً وعدماً ويقع تحت القدرة والاختيار .

---

(٢٢) أساس البلاغة للزمخشري ص ١٥٩ ، المفردات ص ١٤٦ .

(٢٣) لسان العرب ٣٦١/١١ .

(٢٤) المصباح المنير ص ٦٤ .

(٢٥) أساس البلاغة ص ١٥٩ .

(٢٦) ينظر : محيط المحيط ص ٢٢٧ .

أمَّا تعريف (خوارق العادات) بالاعتبار الثاني : وهو كونها جملة واحدة مركبة تركيباً إضافياً ذات دلالة على معنى اصطلاحي فقد تعددت الأقوال في ذلك ، ولكن ظهر لي أنه يُمكن أن يقال : نقض العادة هو : تجاوزها على هيئة مخصوصة ولغرض مخصوص وهو من فعل الله تبارك وتعالى(٢٧) .

أو هي أمر يفوق طاقات البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة(٢٨) .

ولابد أن يكون هذا الخارق عارياً عن الأسباب المعقولة المعتادة في الكون ، وأيضاً فهو يختلف باختلاف الأمور المعتادة في الكون ، فليس خرق العادة في انقلاب العصا حية تسعى كخرق العادة في انفراج الصخرة عن باب الغار ، بل لابد أن يكون في غير مقدور الإنس و الجن ، وكل ما توصل إليه الإنسان بأي سبب من الأسباب العادية فلايعتبر من خرق العادة في شيء وذلك كأعمال السحرة والحيل وما يلحق بها مِمَّا هو في مقدور الخلق .

ب) – أقسام الخوارق :

وقد قسم العلماء الخوارق إلى الأمور التالية :

(١) – المعجزة : وهي : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ودعوى النبوة سالم عن المعارضة(٢٩) .

(٢) – الإرهاص : وهو كل خارق تقدم النبوة(٣٠) .

(٣) – الكرامة : وهي أمر خارق للعادة يجريها الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة ، معونة له على أمر ديني أو دنيوي(٣١) ، وهذا التعريف على المختار لكثرة الأقوال في حد الكرامة ، وعدم انضباطها .

(٤) – المعونة : وهي ما يظهره الله لعامي تخلصه من شدة أو مكروه(٣٢) وهي من أنواع الكرامة .

---

(٢٧) خوارق العادات في القرآن الكريم ، د / الحميضي ص ١٣ .

(٢٨) المعجزة الخالدة لحسن ضياء الدين ص ٤٤ .

(٢٩) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية عبدالعزيز السلمان ص ٧١٧ ، ومعجم ألفاظ العقيدة ، تصنيف أبي عبدالله عامر عبدالله فالح ص ٣٧٨ ، لوامع الأنوار (٢/٢٨٩ – ٢٩٠) .

(٣٠) ينظر : الجواب الصحيح (٦/٤٠٨) ، وانظر : لسان العرب (٧/٤٤) ، مادة رهص ، ولوامع الأنوار (٢/٣٩٢) .

(٣١) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١٦٨ ، الصوفية نشأتها وتطورها ص ٦٥ .

(٣٢) لوامع الأنوار (٢/٣٩٢) ، وخوارق العادات في القرآن الكريم ص ١٣ .

(٥) – الاستدراج والمكر : بالفاجر على طبق دعواه .

(٦) – الإهانة والاحتقار : وتكون للفاجر على خلاف دعواه ، كما حصل لمسيلمة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ، ومن تفله في بئر عذبة ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحاً أجاجاً(٣٣) .

(٧) – ومن الخوارق الفاسدة السحر والشعوذة(٣٤) : والتحقيق أنهما ليسا من الخوارق ؛ لأنهما من الأمور المعتادة التي يُمكن أن يتعلمها البشر إمَّا بإعانة الشيطان أو بالممارسة ، فتكون أمورهم خارقة لما ألِفَهُ غيرُهم .

والسحر في اللغة : عبارة عما خفي ولطف سببه .

وأمَّا في الاصطلاح : فهو : عقد ورقى(٣٥) وعزائم يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه ،

قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾(٣٦) .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن السحر ثابت ، وله حقيقة ، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم للحق(٣٧) وقد استدلوا بالكتاب والسنة

---

(٣٣) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/٣٩٢) .

(٣٤) يقال : شعوذ الرجل شعوذة ، ومنهم من يقول : شعبذ شعبذة وهو بالذال المعجمة ، والشعبذة خفة في اليد وأخذ كالسحر . انظر : محيط المحيط لبطرس البستاني ، ط : مكتبة لبنان ، سنة ١٩٧٧م ، ص ٤٦٨ ، وأساس البلاغة للزمخشري ص ٣٣١ ، ط : دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ .

(٣٥) ينظر : المغني لابن قدامة (٨/١٥٠) ، نشر : مكتبة الرياض الحديثة ، تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ ص ٣٨٢ ، ط : المكتب الإسلامي ، والشرح الكبير لشمس الدين المقدسي ١٨٢/٢٧ ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية ، بتحقيق د/ التركي .

(٣٦) سورة البقرة : آية ١٠٢ .

(٣٧) تفسير القرطبي (٢/٤٦) ، ط : دار الكتب المصرية ١٣٨٧ هـ .

ويذكر الإمام القرافي أن الخلاف في ذلك وقع بعد إجماع الصحابة على أن له حقيقة فلايلتفت إلى هذا الخلاف(٣٨) . وقال ابن القيم في ردّه على من زعم أن السحر كله تخييل : (وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف ، واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وما يعرفه عامة العقلاء)(٣٩) .

وممن قال بذلك الشيرازي من الشافعية(٤٠) والنووي(٤١) وابن حجر الهيثمي(٤٢) وغيرهم(٤٣) ، وقد أنكر ذلك طائفة أهل الكلام من المعتزلة(٤٤) ، وأبو بكر الرازي(٤٥) ، وابن حزم الظاهري(٤٦) .

والسحر وإن كان معتاداً للسحرة ، فهو خارق بالنسبة إلى غيرهم - كما أن ما يعرفه أهل الطب والنجوم والفقه والنحو معتاد لنظرائهم وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم(٤٧) - ، فأحوال السحرة من إعانة الشياطين لبني آدم ، ولذا تكون أموره خارجة عما اعتاده الإنس من غيرهم فيسمّى خارقاً بهذا الاعتبار .

ويذكر ابن تيمية(٤٨) أن الذي يصح أن يسمّى خارقاً حقيقة هو كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لاَيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٤٩) ،

(٣٨) الفروق (١٥٠/٤) .
(٣٩) التفسير القيم ص ٥٧١ .
(٤٠) الفروق للقرافي (١٩٤/٤) .
(٤١) المجموع (٢٤٠/٩) ، روضة الطالبين للنووي (٣٤٦/٩) .
(٤٢) الزواجر (١٠٠/٢) .
(٤٣) ينظر : المجموع للنووي (٢٤٠/١٩) ، أحكام القرآن للجصاص (٤٣/١) .
(٤٤) التفسير القيم ص ٥٧١ .
(٤٥) قصة السحر ص ٤٧ .
(٤٦) الفصل (٢/٢) ، والمحلى (٣٦/١) .
(٤٧) النبوات لابن تيمية ص ١٣ .
(٤٨) ينظر : النبوات لابن تيمية ص ٢٣٠ .
(٤٩) سورة الإسراء : الآية ٨٨ .

فآيات الأنبياء الدالة على نبوتهم تكون مختصة بهم ومستلزمة لصدقهم ، (( وهي لابد أن تكون خارقة للعادة وخارجة عن قدرة الإنس والجن ، ولايُمكن لأحد أن يعارضها ، لكن كونها خارقة للعادة ولاتمكن معارضتها هو من لوازمها ليس حداً مطابقاً لها ، والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً كانشقاق القمر وجعل العصا حية ... ))(٥٠) .

**أبرز الآراء في خوارق العادات:**

تباينت آراء الطوائف في إمكان خرق العادات وحصول المعجزات والكرامات وهل هي على وجه الحقيقة أم هي من باب الخيال والتوهمات ؟ ، ولسنا بصدد ذكر تفاصيل تلك الأقوال وإنَّما نكتفي بذكر أهم تلك الآراء على وجه الإجمال ، والله المستعان .

**أولاً : رأي الفلاسفة :**

من المعلوم أنه ليس للفلاسفة المتقدمين مذهب معين ينصرونه ولا قول يتفقون عليه في الإلهيات والمعاد والنبوات والشرائع(٥١) ؛ لأن هؤلاء الفلاسفة المعروفين بأصحاب التعاليم كأرسطو وأتباعه كانوا مشركين يعبدون المخلوقات ولايعرفون النبوات ولا المعاد البدني(٥٢) ، فليس في المعجزات كلام للقدماء من الفلاسفة(٥٣) ، بل غاية من أراد أن يتكلم في ذلك كالفارابي (ت ٢٩٩ هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) وغيرهما ممن يفضل الفيلسوف على النبي أن يجعلوا ذلك من جنس المنامات المعتادة(٥٤) ، ويجعلونها أموراً متخيلة يعطيها العقل الفعال إلى القوة الحاسة فتصير أموراً مرئية(٥٥) .

وقد ذكر الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) أن هؤلاء الفلاسفة لم يثبتوا من المعجزات الخارقة إلاَّ ثلاثة أمور هي: القوة المتخيلة ، وخاصية القوة النظرية العقلية ، والقوة النفسية العلمية(٥٦) ، والذي يظهر من كلامهم

---

(٥٠) النبوات ص ٢٨٣ ، وينظر : نفس المرجع ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٥١) ينظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣٥٧/١) .

(٥٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣٦٤/١) .

(٥٣) ينظر : تهافت التهافت لابن رشد (٧٧٣/٣) .

(٥٤) النبوات (١٩٦/١) .

(٥٥) ينظر : آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي (ص ٧٥) .

(٥٦) تهافت الفلاسفة للغزالي (٢٣٥ - ٢٣٨) .

أنهم أرادوا تفسير المعجزات من الناحية العقلية التي هي معتمدهم في أبحاثهم وأن العقل عندهم يوجب تلازم الأسباب والمسببات تلازماً ضرورياً ، وهذا التلازم ليس بضروري ؛ لأنه قد يوجد السبب ولايوجد المسبب ، وفي خرق العادات والكرامات ما يبطل هذا التلازم الذي جعله الفلاسفة تلازماً ضرورياً(٥٧) .

**ثانياً : رأي المعتزلة :**

ادّعت المعتزلة أن كل ما خرج عن الأمر المعتاد يعد معجزة ، وهذا لايقع إلاّ للأنبياء ، وقالوا لايكون خرقاً إلاّ إذا اقترن بدعوى النبوة وقد أنكروا خوارق غير الأنبياء ، وكذبوا (( بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين ))(٥٨) ؛ لأنهم قد علموا أن الدليل مستلزم للمدلول ، فيلزم أن يكون كل من خرقت له العادة نبياً(٥٩) ، ولهذا أنكروا خرق العادة لغير الأنبياء(٦٠) لكيلا يلتبس أمر النبي بغيره ، وهذا الكلام غير مقبول ؛ لأن من تلك الخوارق والكرامات ما حدَّث به القرآن الكريم وصح في الأحاديث ، وتواتر نقله بين الناس ، وكذلك ما يشاهده الناس في كل عصر من تلك الخوارق ، والشبهة التي تمسكوا بها إنّما تصح لو كان صاحب الخارق أو الكرامة مدعياً للنبوة طالباً من الناس اتّباعه ، فهذا لايقع إلاّ من متنبئ كذاب قد خالف ماجاء في السنة والكتاب ، وهذا لايلبث أن يفضح الله أمره ويكشف عواره كما هي سنة الله في المتنبئين الكذابين والسحرة والمشعوذين .

أمَّا الكرامات فهي (( موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مِمَّا تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء ، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء ، فكيف يكذبون

(٥٧) ينظر : خوارق العادات في القرآن للحميضي ص ٢٠ – ٢٤ .

(٥٨) النبوات (١٢٩/١) .

(٥٩) النبوات (١٢٩/١) .

(٦٠) ينظر في ذلك : المغني لشيخ المعتزلة القاضي عبدالجبار (٢١٥/١٥) ، وينظر : المحلى لابن حزم (٣٦/١) فقد وافق المعتزلة في ذلك ، وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على تلك الشبهات في عدد من كتبه مثل النبوات ، الرسالة الصفدية ، وفي الجواب الصحيح طرف من ذلك .

بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مِمَّا تواتر غيره ))(٦١) ، وهي ثابتة لأتباع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – .

**ثالثاً : رأي الأشاعرة :**

مسلك الأشاعرة في أصل وقوع الخوارق والمعجزات موافق لما عليه عامة السلف لكن الخلاف بينهم في مثل قولهم : إن جنس خرق العادة واحد ، إذ لم يميزوا بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وبين خوارق السحرة والكهان وقالوا : "وخوارق الأنبياء يظهر مثلها على يد الساحر والكاهن والصالح ، ولايدل على النبوة ؛ لأنه لم يدعها ، قالوا ولو ادّعى النبوة أحد من أهل الخوارق مع كذبه ، لم يكن بد من أن الله يعجزه عنها ، فلايخلقها على يده ، أو يقيض له من يعارضه فتبطل حجته" (٦٢) .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول عن بعض أئمة الأشاعرة كما في قوله : " يقيم أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر فلايجدون فرقاً ، إذ لا فرق عندهم في نفس الأمر . والتحقيق : أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة ولصدق الخبر بالنبوة ، فلايوجد إلاّ مع الشهادة للرسول بأنه رسول ولايوجد مع التكذيب بذلك ولا مع عدم ذلك البتة وليست من جنس ما يقدر عليه لا الإنس ولا الجنّ فإن ما يقدر عليه الإنس والجن يفعلونه فلايكون مختصاً بالأنبياء ، ومعنى كونها خارقة للعادة أنها لاتوجد إلاّ للنبوة لا مرة ولا أقل ولا أكثر ..."(٦٣) .

فالأشاعرة يجعلون جنس الخارق واحداً للمعجزة والكرامة والسحر إلاّ أن الفرق بين المعجزة والكرامة هو التحدي ودعوى النبوة ، والفرق بين الكرامة والسحر هو أن الكرامة تظهر على يد الصالح والسحر يظهر على يد الفاسق ، والفرق بين المعجزة والسحر هو كالفرق بين المعجزة والكرامة وهي فروق لايحصل(٦٤) بها القصد من التفريق بين النبي والولي والساحر .

---

(٦١) النبوات (١٣٣/١) .

(٦٢) النبوات (٤٨٧/١) نقلاً عن البيان للباقلاني ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، والإرشاد للجويني (ص ٣٢٦ – ٣٢٧) ، وأصول الدين للبغدادي ص ١٧٣ ، شرح المقاصد للتفتازاني (١٨٢/٥) .

(٦٣) النبوات (٧٩٧/٢ ، ٨٠٠) . وانظر : منهاج السنة النبوية (٤٣٦/٥ – ٤٣٩) ، وشرح الأصفهانية (٥٤٣/٢) ، كتاب الصفدية (٣٢٥/١ – ٣٢٩) .

(٦٤) وقد بين شيخ الإسلام في كتاب النبوات (١٣٨/١) أنها فروق ضعيفة . وانظر : نفس المرجع (٨٠٠/٢) ، (٦٠٦/١) ،

وقال أيضاً : (( فأتى هؤلاء فأثبتوا ما أثبته الفقهاء وأهل الحديث من السحر والكهانة والكرامات ، ولكن قيل لهم فميزوا بين هذا وبين المعجزات فقالوا لا فرق في نفس الجنس ... ولكن جنس خرق العادة واحد ))(٦٥) .

وردّ عليهم في مواضع كثيرة في مثل قوله : " من قال أن آيات الأنبياء والسحر والكهانة والكرامات وغير ذلك من جنس واحد فقد غلط " (٦٦) .

وبالإضافة إلى ما سبق فستأتي الإشارة إلى أن السحر من الأمور العادية عند من يتعاطى أسبابه ، فلايدخل في الخوارق الحقيقية التي تكون للأنبياء وأتباعهم ، وينبغي أن يعلم أن التمييز بين ما للأنبياء وأتباعهم من الخوارق وبين ما للسحرة من الأحوال والكهان من الأعمال هو من أشرف العلوم التي هدى الله إليها من شاء من عباده المؤمنين .

أمَّا مدار هذا البحث فسيكون في بيان موقف كل من السلف والمتصوفة من الخوارق ، ولاسيما الخوارق التي تكون للأولياء ، وذلك لما يحصل من الخلط والاشتباه عند بعض الناس في حقيقتها ، وكذلك لما ينسجه المتصوفة من خوارق وكرامات الأولياء وحكايات وأخبار تخرج في كثير من الأحيان عن الحد المعقول ، بل يصل بعضها إلى الكفر الأعظم ، ثم أبين أن الخوارق بهذا الاعتبار تكون لأولياء الله ولأعداء الله ، وأنها ليست من مقومات ولاية العبد لله – تعالى – ، ولا هي المعيار الوحيد الذي يقاس به صلاح الشخص ، كما يظن بعض من فتن بها ، والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل

**المطلب الثاني : موقف السلف من خوارق العادات :**

[١] – الإقرار بكرامات الأولياء من أصول أهل السنة والجماعة :

يعتبر التصديق بخوارق العادات والإقرار بكرامات الأولياء من أصول أهل السنة والجماعة ، وكذلك ما يجريه الله – عزّوجل – على أيدي عباده الصالحين في أنواع العلوم والمكاشفات والقدرة والتأثيرات ، ولاينكرونها كما ينكرها طائفة من أهل البدع ، بل يوقنون أن الله – تعالى – الذي خلق الأسباب

---

ط : أضواء السلف .

(٦٥) النبوات (ص ١٠٩) ، ط : السلفية .

(٦٦) نفس المرجع ص ٢٩٢ .

والمسببات قادر على خرق سنن الكون لمن شاء من عباده الصالحين ، نقل عن الإمـام أبي حنيفـة – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى – قوله : " والآيات ثابتة للأنبياء ، والكرامات للأولياء حق"(٦٧) .

ويقول الإمام الطحاوي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى – : " ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم "(٦٨) ، وقد نقل عن الإمام أحمد – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى – أنه أنكر على من أنكرها وضلله ، وقال : (( وتوجد في زمن النبوة وأشراط الساعة وغيرهما "(٦٩) ، وقال الإمام ابن تيمية – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى – : (( من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجريه الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سـورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة"(٧٠) .

ويعرف السلف الكرامة بأنها : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة يظهر على يد عبد ظـاهر الصلاح ملتزم المتابعة لنبي كلف بشريعته مصحوباً بصحة الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم ، ولاتدل على صدق من ظهرت على يديه ولا ولايته ولا فضله على غيره لجواز سـلبها وأن تكـون استدراجاً له(٧١) ، وتظهر بلا طلب ممن ظهرت على يديه ولاتكلف " فإن ما غيب عن الإنسان ولا هو من التكاليف لايطالب به " (٧٢) .

ويستدلون على ثبوت هذه الخوارق بالكتاب والسنة والمشاهدات الحسية والقواطع العقلية ومما جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٧٣) وما جاء في سورة الكهف من

---

(٦٧) الفقه الأكبر ص ٣٠٣ .

(٦٨) العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز (٧٤٦/٢) ، ط : الرسالة بتحقيق : د / التركي والأرناؤوط ، سنة ١٤٠٨ هـ .

(٦٩) لوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٣/٢) .

(٧٠) مجموع الفتاوى (١٥٦/٣) .

(٧١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان ص ٧١٧ . وانظر : لوامع الأنوار (٣٩٣/٢) .

(٧٢) الموافقات للشاطبي (٢٨٣/٢) .

(٧٣) سورة آل عمران : من الآية ٣٧ .

قصة أصحاب الكهف وغيرها ، وجاء في السنة النبوية ذكر كرامات لبعض الصالحين سواء من هـذه الأمة أو ممن قبلها ، ومن ذلك : تكلم الطفل ببراءة جريج الراهب من فعل الفاحشة(٧٤) ، وانفـراج الصخرة عن الثلاثة الذين آووا إلى الغار بعد أن وقعت وسدت باب الغـار(٧٥) ، وأمَّا كرامـات الصحابة ومن بعدهم فكثيرة فقد كان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبر قسمه(٧٦) ، وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة(٧٧) ، ومشى أمير البحرين العلاء بن الحضـرمي علـى المـاء مـع جنوده(٧٨) ، وألقي أبو مسلم الخولاني في النَّار فلم تحرقه(٧٩) .

[٢] - كرامات الأولياء تحصل ببركة اتباعهم للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – :

ويؤكد السلف أن كرامات الأولياء إنَّما حصلت لهم " ببركة اتباع الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهي من آيات الأنبياء ، ولكن ليست من آياتهم الكبرى ولايتوقف إثبات النبـوة عليهـا "(٨٠) ، وهي كذلك دالة على صدق الأنبياء وأن متبعيهم على الهدى والحق ، ولذلك كان التصديق بها مـن أصولهم التي يتحقق بها مصالح كثيرة وحكم متعددة " أعظمها الدلالة على كمال قـدرة الله ونفـوذ مشيئته ، وأنه فعال لما يريد وأنه كما أن لله سننا وأسباباً تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعاً وقـدراً ، فإن لله أيضاً سننا أخرى لايقع عليها علم البشر ولاتدركها أعمالهم وأسبابهم "(٨١) .

---

(٧٤) قصة جريج ينظر : صحيح مسلم (١٩٧٦/٤) ، حديث ٢٥٥ .

(٧٥) قصة الثلاثة ينظر : صحيح البخاري (٤٠٨/٤) ، حديث ٢١٥ .

(٧٦) الفتاوى (٢٧٧/١١) ، وسير أعلام النبلاء (١٤٢/١) ، والحديث عند الترمذي عن أنس بن مالك : كم من أشعث ... (٣٥٥/٥) حديث (٣٩٤٥) .

(٧٧) أسد الغابة (٣٩٠/٢) ، والحديث في ذلك عند الترمذي عن قيس أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (( اللهم استجب لسعد إذا دعاك )) (٣١٣/٥) حديث رقم (٣٨٣٥) ، الفتاوى (٢٧٨/١١) .

(٧٨) سير أعلام النبلاء (٢٦٢/١) ، البداية والنهاية (١٦٢/٦ – ١٦٣) ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٧/١) ، وصفة الصفوة ٦٩٤/١ .

(٧٩) مجموع الفتاوى (٢٧٩/١١) ، حلية الأولياء (١٢٢/٢ ، ١٣١) ، سير أعلام النبلاء (٧/٤) ، البداية والنهاية (١٤٩/٨) .

(٨٠) النبوات ، ط : السلفية ص ٣٠٠ ، وانظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٦٣/٦ .

(٨١) الكواشف الجلية ص ٧١٧ .

ويفرقون بين المعجزة والكرامة بأن المعجزة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد من يختاره لنبوته ليـــدل على صدق وصحة رسالته(٨٢) بخلاف الكرامة ، فإنها لاتبلغ معجزات الأنبياء والمرسلين ، وإن كـــان اسم المعجز يعم كل خارق للعادة سواء كانت معجزة لنبي أو كرامة لولي فإن الأئمة المتقدمين يسمون كرامات الأولياء خوارق ومعجزات إذا لم يكن هناك ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك(٨٣) .

" لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بين المعجزة والكرامة فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للـــولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة" (٨٤) .

وعلى هذا يقرر السلف عامة أن الأولياء لايبلغون في الفضيلة والثواب درجة الأنبياء والمرســـلين(٨٥) مهما حصل لهم من كرامات؛لأنها مهما بلغت فهي أقل درجة ومرتبة من معجزات الأنبياء والمرسلين ؛ لأن الخوارق على ثلاث مراتب " آيات الأنبياء ثم كرامات الصالحين"(٨٦) وهي معجزة من فضل الله تعالى (( ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان ))(٨٧) ، وهي من إعانة الشياطين لـــبني آدم فتكون خارقة لما اعتاده الناس وألفوه .

ثم إنه لايضر المسلم أن لاتحصل له كرامة بل رُبَّمَا كان عدمها أنفع له في دينه ، ولايحـــرص الســـلف عليها ، وكانوا يخفونها ، ويخافون من ظهورها ومنهم من يسأل الله زوالها ، ومع هذا فهي باقيـــة إلى قيام الساعة

[٣] – أركان الخوارق :

وقد لاحظ شيخ الإسلام أن هذه الخوارق تقوم على ثلاثة أركان هي العلم والقدرة والغنى (( وهـــذه الثلاث لاتصح على وجه الكمال إلاَّ لله وحده ، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً ، وهو على كـــل

(٨٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، تأليف الدكتور/صالح الفوزان ، ص١٨١

( ٨٣ ) ينظر : الجواب الصحيح (٤١٩/٥) ، ط : دار العاصمة ١٤١٤ هـ .

(٨٤) مجموعة الرسائل والمسائل (٢/٥) .

(٨٥) ينظر : النبوات ص ٢٨٤ ، ط : السلفية .

(٨٦) النبوات ص ٢٨٤ ، ص ٢٢١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٥٥٥ ،الفرقان ص ٦٩ ، قطر الولي ص ٢٤٨ .

(٨٧) نفس المراجع والصفحات .

شيء قدير وهو غني عن العالمين ))(٨٨) وقد طالب العرب الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تارة بعلم الغيب ، وتارة بالقدرة على التأثير وأحياناً يعيبون عليه الحاجة والبشرية كما جاء في القرآن الكريم ذكر هذه المواقف الثلاثة بقوله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾(٨٩) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٩٠) .

وفي الموقف الثاني(٩١) كانوا يطالبونه بالتأثير في السنن الطبيعية في مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾(٩٢) .

وكذلك وصفوه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالبشرية ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾(٩٣) .

ثم تفصح الآيات عن حقيقة الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بأنه لايعلم الغيب ، وأنه ليس ملكاً فتكون عنده الخزائن التي يمد منها غيره وإنَّما هو بشر لايستغني عن المأكل والمشرب ، فالوصف الذي يناسب حقيقته هو أنه متبع فحسب لما يوحى إليه من ربه وهذا هو مقتضى (( طاعة الله وعبادته علماً وعملاً بالباطن والظاهر ))(٩٤) ، وكذلك لاينال من صفات الكمال إلاَّ ما يعطيه الله تعالى منها ، ومع هذا فقد جمع الله – سبحانه وتعالى – للرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بين أنواع المعجزات

---

(٨٨) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/٢) .

(٨٩) سورة الأعراف : من الآية ١٨٧ .

(٩٠) سورة يونس : الآية ٤٨ .

(٩١) ينظر : ابن تيمية والتصوف ص ٤٠٢ ، د / مصطفى حلمي .

(٩٢) سورة الإسراء : الآيات ٩٠ – ٩٣ .

(٩٣) سورة الفرقان : الآية ٧ .

(٩٤) ينظر : مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/٢) ، وشرح الطحاوية (٧٤٦/٢ – ٧٤٨) ، تحقيق : د . التركي والأرناؤوط .

والخوارق كما ثبت من إخباره عن الأمور الغائبة الماضية والحاضرة والمستقبلية ومعراجه إلى السموات ، واهتزاز الجبل تحته ، وتكثير الماء والطعام على يديه – عليه الصلاة والسلام –(٩٥) .

وصاحب الكرامة إن كانت كرامته من جهة العلم سمع ما لم يسمعه غيره أو يرى ما لم يره سواه في حال اليقظة أو المنام أو يعلم بما لم يعلمه غيره بإلهام أو فراسة صادقة لعبد صالح .

وإن كانت من باب القدرة والتأثير كدعوة مستجابة أو رد ضالة أو عدم إحراق النَّار لمن وقع فيها وقد حصل جنس هذا في الصحابة(٩٦) وكثر فيمن جاء بعدهم ، وكانت تلك الكرامات إمَّا لحاجة أو لحجة في الدين بحسب الحاجة (( فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج آتاه الله منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل منه ولاية مستغنياً عن ذلك ، فلايأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص في ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ))(٩٧) ، لكن ما يجريه الله – تعالى – على أيدي الرسل – عليهم الصلاة والسلام – أعظم درجة وأكثر مِمَّا يحصل لغيرهم ؛ لأن على أيديهم – عليهم الصلاة والسلام – هداية البشر فحاجتهم إليها أعظم وظهورها على أيديهم أكثر .

[٤] – بعض الضوابط التي تعرف بها الأحوال الرحمانية من غيرها :

ولما كانت هذه الخوارق تشتبه على بعض الناس بما يكون لغيرهم من خوارق الصالحين ( الكرامات ) أو ما يحصل لمن عداهم كالسحرة أو الكهان أو المشعوذين أو أهل الرياضات أو أصحاب الحيل أو غيرهم من أهل الشرك والبدع فقد بين السلف الأمور التي تعرف بها الأحوال الرحمانية من الأحوال الشيطانية لكيلا تلتبس أحوال أولياء الرحمن بأحوال أولياء الشيطان ويظن أن مجرد خرق العادة دليل على الولاية والصلاح ، وقد اجتهدت في استخلاص بعض الضوابط حسب ما ظهر لي على النحو الآتي :

---

(٩٥) ابن تيمية والتصوف (٤٠١ – ٤٠٣) بتصرف واختصار ، وشرح الطحاوية ٧٤٦/٢ – ٧٤٨ .

(٩٦) الفتاوى (٢٧٥/١١ – ٢٨٢) ، (٣١٧/١١) .

(٩٧) الفتاوى (٢٨٣/١١) ، (٤٦٠/١١) .

أولاً : أن تكون هذه الكرامات على يد مؤمن تقي متبع لما جاء به الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محافظ على الفرائض والسنن والنوافل ، عالماً بأمر الله عاملاً بما يعلم ، ومن كان على نقيض هذه الحال فما ظهر على يديه من الخوارق فليس بكرامة بل رُبَّمَا كان من المخاريق الشيطانية ، كما هو الحال عند كثير من الصوفية ، يقول الإمام الشوكاني – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – في بيان المعيار الذي يفرّق به بين الكرامات وغيرها من الأحوال : (( والحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره مقيماً لما أوجب الله عليه تاركاً لما نهاه الله عنه مستكثراً من طاعاته فهو من أولياء الله – سبحانه – وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبه من الله – عزّوجل – لايحل لمسلم أن ينكرها ، ومن كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله – سبحانه – وليست ولايته رحمانية بل شيطانية ، وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس ))(٩٨) .

فالمعيار الفارق بين هذه الأحوال هو الإيمان ومتابعة الكتاب والسنة ، وقال ابن حجر – رَحِمَهُ اللهُ – : (( ينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه ، فإن كان متمسكاً بالشريعة متجنباً للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلاّ فهو سحر ؛ لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين ))(٩٩) .

ثانياً : أن هذه الكرامات كانت تحصل للصحابة دون تكلف منهم أو تطلّب لها أو رياضات روحية يستجلبون بها هذه الخوارق ، بل تقع إكراماً من الله لهم أو دعاءً يرون فيه مصلحة دينية إمَّا لحجة أو لحاجة للمسلمين كدعاء بعضهم في حال المعارك مع الأعداء أو جدب السنين بخلاف ما عليه المتأخرون من طلب وتكلف بالرياضات الروحية ، وربما أفسد بعضهم جسمه ونفسه بسبب هذا مع أن طلب الكرامة ليس عليه دليل ، بل الدليل خلاف ذلك ، فإن ما غيب عن الإنسان ولا هو من التكاليف لايطالب به ، بل رُبَّمَا كان هذا من التأثر بالفلاسفة حيث يقررون رياضات معينة للوصول إلى هذه الخوارق(١٠٠) بل يرى البعض منهم أنها توصل إلى ما هو أعلى من ذلك كالنبوة ؛ لأن

---

(٩٨) قطر الولي ص ٢٧٣ .

(٩٨) فتح الباري (٢٢٣/١٠) .

(١٠٠) ينظر : الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبده ، طارق عبدالحكيم ، ص ٦٧ .

الاجتهاد في طريق التصوف يوصل إلى علوم الأنبياء ، ومتى ما تمكن من رفع الحجب الموجودة بينه وبين اللوح المحفوظ رأى ما في ذلك اللوح(١٠١) ، وهذا باطل قطعاً .

والأصل عند السلف ألاّ تطلب الكرامة لذاتها بل الأصل طلب الصلاح والتقوى ، وألا تتخذ وسيلة للتعالي على الناس ؛ لأنها ليست دليلاً على تفضيل المعطى على غيره ، فلايشغل المرء نفسه بالتطلع إليها ولايحزن إذا لم تحصل له ، قال أبو علي الجوزجاني : (( كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة ، فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة ))(١٠٢) ، قال الشيخ السهروردي (ت ٦٣٢ هـ) في عوارفه : (( وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب ))(١٠٣) .

ثالثاً : أن ما قد يحصل على أيدي غير الأنبياء والأولياء من أهل الشرك والبدع وأصحاب الحيل فمرد ذلك إلى معرفة أو آلة واعتماد أفعال من عبادة أو شرك أو فجور أو يقوم على خداع وحيل وتضليل علاوة على مايكون بالشعوذة والحيلة والاستعانة بالشيطان ، ثم إن هذه الأحوال لاتعد ناقضة للعادة ولا خارقة لما اعتاده الناس من قوانين وسنن جارية ، وكل ما في الأمر أن الرائي يخيل إليه ويتصور حصول خرق لما هو معهود كما حدث على أيدي سحرة فرعون كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾(١٠٤) أي لما ألقوا حبالهم وعصيهم إذا هي من سحرهم كأنها حيات تسعى فسحروا أعين الناس وجاؤوا بسحر لم يوجد مثله(١٠٥) .

ومع هذا فلم ينخدع به إلاّ من ليس له دراية أو معرفة بذلك أو يعلم ما يبطله كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾(١٠٦) .

---

(١٠١) ينظر : مقارنة بين الغزالي وابن تيمية ، د . محمد رشاد سالم ، ص ٦١ ، ٦٢ .
(١٠٢) الفتاوى (١١/٣٢٠) .
(١٠٣) العوارف ص ٥٤ .
(١٠٤) سورة الأعراف : من الآية ١١٦ .
(١٠٥) تفسير ابن سعدي ص ٣٠٠ ، ط : وزارة الشؤون الإسلامية . وانظر : ما تقدم ص ٩ .
(١٠٦) سورة الأعراف : الآيات ١١٧ – ١١٩ .

لأن (( قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه كمصير الخشب حيواناً حساساً متحركاً بالإرادة يبلع عصياً وحبالاً ولايتغير ، فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتاداً ولا نادراً ، ولايحصل بقوى نفس أصلاً ، ولهذا لما رأى سحرة فرعون ذلك علموا أنه خارج عن طريقة السحر(١٠٧) ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾(١٠٨) ؛ لأنهم عرفوا أن هذه آية عظيمة من آيات الله – تعالى – الخارقة لا قدرة لأحد من البشر على مثلها بل هي من القادر المختار لتصديق موسى ونصره على السحرة وعلى فرعون عدو الله ، ومن هنا نعلم أن معجزات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وكرامات الأولياء على حقائقها وبواطنها كظواهرها ، وكلما تأملها الناس ازدادت قوة وظهرت صحتها ، ولو جهد الخلق كلهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ظهر عجزهم عنها(١٠٩)

إذ هي بخلاف مخاريق السحرة وتخييلاتهم(١١٠) التي هي ضرب من الحيلة والتلطف لإظهار أمور لا حقيقة لها وما يظهر منها على غير حقيقتها يعرف ذلك بالتأمل والبحث ، ومن شاء أن يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره ويأتي بمثل ما أظهره سواه(١١١) ، غير أن الذي يعرف التفريق بين المعجزات والحيل نزر يسير من الناس .

قال القرافي : (( أمَّا المعجزات فليس لها سبب في العادة أصلاً فلايجعل الله تعالى في العالم عقاراً يغلق البحر أو يسيّر الجبال في الهواء ، ونحو ذلك ))(١١٢) ، وهذا الذي قاله صحيح واضح فإن الخوارق الحقيقية لايُمكن مضاهاتها ولايعلم البشر أسبابها ، أمَّا السحر وما دونه فله أسباب خفية قد يجهلها الناس ويعلمها القليل وقد يجهلها أهل عصر ويعلمها من بعدهم ولايزال علم البشر في تقدم

(١٠٧) الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٨/١) .
(١٠٨) سورة الأعراف : الآيات ١٢٠ – ١٢٢ .
(١٠٩) ينظر : أحكام القرآن للجصّاص (٤٩/١) .
(١١٠) ينظر : ماتقدم ص ٩ .
(١١١) أحكام القرآن للجصاص (٤٩/١) .
(١١٢) الفروق للقرافي (١٦٨/٤) .

مستمر(١١٣) والله غالب على أمره ، قال تعالى : ﴿ قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١١٤) .

رابعاً : ألا تخالف الكرامة الشرع الذي جاء في الكتاب والسنة ودعا إليه الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؛ لأن الشيطان يتعرض لابن آدم بحكم عداوته ليفسد عليه دينه ، وقليل هم الذين ينتصرون على الشيطان ويتمكنون من الخلاص من كيده فإذا ما حصل مثل هذه الخوارق وجب أن تعرض على الكتاب والسنة قبل الحكم عليها لنعلم مدى موافقتها للشرع أو مخالفتها له ومن ثم يحكم بصحتها أو بطلانها .

(( فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لتؤذيهم وتفسد عليهم عبادتهم ، فيدفعهم الله – تعالى – بما يؤيد به أنبياءه من الدعاء والذكر والعبادة والجهاد باليد فكيف من هو دون الأنبياء ))(١١٥) .

وهذا مثل ما عرضه الشيطان للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في الصلاة ليقطع عليه العبادة(١١٦) .

وكثير من العُبّاد قد يحصل لهم تصور الشيطان بصورة فيوهمه أنه رأى الله فيحل له محرماً أو يسقط عنه واجباً كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في قصة مشهورة أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ) قال : (( كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور فقال لي : يا عبدالقادر : أنا ربك وقد حلّلت لك ما حرمت على غيرك ، قال : فقلت له : أنت الله الذي لا إله إلاّ هو ؟ ، اخسأ يا عدوالله . قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة ، وقال : يا عبدالقادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك ... لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً . فقيل له : كيف علمت أنه الشيطان ؟ قال : بقوله :

(١١٣) ممّا عمت به البلوى في هذا الزمن ما يعرض على شبكات الانترنت من علوم لم يكن يعرفها السابقون ، ومنها هذه الحيل والسحر وغيرها ، وهذا يضاعف المسؤولية على المسلمين في بيان الحق بسلاح هذا العصر ، وفي مقدمته الإعلام بوسائله الحديثة .

(١١٤) سورة الإسراء : الآية ٨٨ .

(١١٥) مجموع الفتاوى (١٧١/١) .

(١١٦) فتح الباري (٣٣٧/٦) كتاب بدء الخلق ، صفة إبليس وجنوده من حديث أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

حللت لك ما حرمت على غيرك ، وقد علمت أن شريعة محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لاتنسخ ولاتبدل ؛ ولأنه قال أنا ربك و لم يقدر أن يقول أنا الله الذي لا إله إلاّ أنا ))(١١٧) .

فمثل هذا قد يحصل لبعض الناس ويظن أنها كرامة وهي حال شيطانية يلتبس أمرها على من لم يكن على فقه وعلم بشرع الله – تعالى – ، وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامة ، قال الإمام ابن الجوزي – رَحِمَهُ اللهُ – : (( وقد علم العقلاء شدة تلبيس إبليس وحذروا من أشياء ظاهرها الكرامة ، وخافوا أن تكون من تلبيسه ))(١١٨) ، وهذا يبين أن الشيطان لايتمكن من الإنسان إلاّ عند قلة العلم (( فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قلّ تمكنه منه ))(١١٩) .

فمتى كان الشخص عالماً بحقائق الإيمان الباطنة ، فارقاً بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فقد (( قذف الله في قلبه من نوره ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾(١٢٠) فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث (( اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ))(١٢١) ، فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان ، وفرق بين ما يجري على أيدي كل من الفريقين ، وعلم أن خوارق الأنبياء وكرامات الأولياء ليست معتادة للآدميين ولا في مقدورهم(١٢٢) .

**المطلب الثالث : موقف الصوفية من خوارق العادات :**

[١] – إجماع الصوفية على إثبات الخوارق وتسهيل الوصول إليها :

---

(١١٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/١٧٢) .

(١١٨) تلبيس إبليس ص ٤٦٠ .

(١١٩) تلبيس إبليس ص ٤٥٦ .

(١٢٠) سورة الحديد : من الآية ٢٨ .

(١٢١) واه الترمذي برقم (٣١٢٥) في التفسير في سورة الحجر عن أبي سعيد الخدري – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وقال عنه : حديث حسن . وهو في الدر المنثور للسيوطي (٤/١٠٣) .

(١٢٢) ينظر : النبوات (١/١٦٤) ، تحقيق : الطويان .

يجمع المتصوفة على إثبات الخوارق(١٢٣) ، ويسمون ما يجريه الله – عزّوجل – على أيدي الأنبياء معجزات ، وما يجري على أيدي الأولياء من ذلك الباب كرامات ويقولون عن كرامات الأولياء : هي عبارة عن ما يظهره الله على يد الولي من أمور خارقة للعادة ويعدونها داخلة ضمن معجزات الأنبياء والرسل ، ولايشترطون أن تكون دوماً خارقة لنواميس الكون أو خارجه عما ألفه البشر ، ولايلزم عندهم أن تكون لها صورة أو كيفية معينة(١٢٤) ، ويستدلون عليها بالكتاب والسنة كقصة مريم وقصة أصحاب الكهف وما جرى من تلك الخوارق لبعض الصحابة(١٢٥) ولمن بعدهم من التابعين ويذكرون في ذلك كثيراً من المشاهدات والأحوال التي تحصل للأولياء(١٢٦) .

يقول الكلاباذي (ت ٣٨٠ هـ) : (( أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء أو كلام البهائم ، وطي الأرض ، وظهور الشيء في غير موضعه ووقته ، وقد جاءت الأخبار بها وصحت الروايات ونطق بها التنزيل من قصة الذي عنده علم من الكتاب))(١٢٧) .

ويقول أيضاً : (( كرامة الولي بإجابة دعوة ، وتمام حال ، وقوة على فعل ، وكفاية مؤنة يقوم لهم الحق بها ، وهي مِمَّا يخرج عن العادات ))(١٢٨) .

ويسهّل المتصوفة أمر الكرامة والوصول إليها على من زهد في الدنيا بإخلاص وصدق ويتناقلون كلاماً نسبوه إلى سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٨٣ هـ) في هذا الخصوص ، وهو قوله : (( من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات ، ومن لم تظهر له فلعدم الصدق

---

(١٢٣) ينظر : جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/١٤ – ٢٣) المطلب الأول .

(١٢٤) ينظر : نظرية الاتصال عند الصوفية – سارة آل سعود ، ص ٢٠٠ .

(١٢٥) التعرف لمذهب التصوف ص ٧٢ وما بعدها .

(١٢٦) ينظر : جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/٣٣) وما بعدها .

(١٢٧) التعرف لمذهب التصوف للكلاباذي ص ٧١ ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠ هـ .

(١٢٨) التعرف لمذهب التصوف ص ٧٤ .

في زهده ، فقيل لسهل : كيف تظهر له الكرامات ؟ قال : يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء ))(١٢٩) .

وقيل لأبي يزيد (ت ٢٦١ هـ) : فلان يقال : إنه يمر في ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله ، وقيل له : إن فلاناً يمشي على الماء قال : الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك ))(١٣٠) .

وقال الشعراني (ت ٩٧٣ هـ) : (( أجمع القوم على أن كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لابد له أن يخرق العادة إذا شاءها ))(١٣١) .

[٢] - خطأ الصوفية في ربط الولاية بوقوع الكرامة :

وجعل المتصوفة كرامات الأولياء وخرق العادات أموراً مستوحاه من معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، وذلك لأن أمر الكرامة عندهم متأصل بالنبوة ، فليس بعد الولاية إلاّ النبوة لا غير ، بل إن أصل الولاية الكرامة وأخصّ أوصاف الأولياء التحقق بالكرامات وجريانها على أيديهم متى ما تمكنوا من الولاية ، يوضح هذا قولهم عن الولي : (( مِمَّا لاشك فيه إن الولي : من تولى الله بالطاعة ، وتولاه الله بالكرامة والرعاية ))(١٣٢) .

وهذا التحديد لمفهوم الولي عند المتصوفة ، يزيده بياناً وتوضيحاً كلام الكلاباذي عندما يقول عن الأولياء (( إنهم إنَّما يعرفون بما يحدث الله فيهم من اللطائف التي يخص بها أولياءه ، وبما يورد على أسرارهم من الأحوال التي هي أعلام ولايته : من اختصاصه لهم به وجذبه لهم مِمَّا سواه إليه ... ووقوع المشاهدات والمكاشفات التي لايجوز أن يفعلها إلاّ بأهل خاصته ... ))(١٣٣) .

وإذا سلمنا بمقتضى هذا التوصيف وجعلناه المعيار الوحيد في معرفة الأولياء وحسب وقعنا في الشرك الأكبر والتبس حال أولياء الرحمن بحال أولياء الشيطان وخاصة على الذين لايستطيعون أن يفرقوا بين

---

(١٢٩) الرسالة القشيرية ص ١٥٨ .

(١٣٠) اللمع للطوسي ص ٤٠٠ .

(١٣١) اليواقيت والجواهر للشعراني (١٠١/٢) ، ط : البابي الحلبي سنة ١٩٥٩ م .

(١٣٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (٧/١) .

(١٣٣) التعرف لمذهب التصوف للكلاباذي (ص ٧٨) .

الفريقين وحتى لاتكون الكرامة حقاً مشاعاً لكل (( دعي )) فإنه لابد من معرفة حال الشخص الذي تجري على يديه هذه الكرامات ، ومدى استقامته على الهدى الذي جاء به الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعرف من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة والأئمة عليه ؛ لأنه ليس كل من حصل له شيء من هذه الخوارق يكون ولياً لله – تعالى – بل رُبَّمَا كان دعياً ، كما أنه ليس كل من حصلت له نعم الدنيا يعدّ ذا كرامة ، بل قد تخرق العادة لمن يكون تاركاً للفرائض مباشراً للفواحش والنجاسات .

ومثل هذه الأحوال لاتعدو أن تكون إمَّا مساعدة من شيطان جني ليضل بها الناس عن سبيل الله ويلبس عليهم دينهم ، أو هي استدراج من الله ومكر بصاحبها،أو هي رياضة تعود عليها من نوع الرياضات ، أو ما يعرف الآن بالحركات البهلوانية كما يفعله بعض الهنود أو البوذيين(١٣٤) أو غيرهم فيما يعرف بالسيرك ، كالذي يعذب نفسه بآلات حادة أو مسامير ولاتؤثر فيه أو يقفز لمسافات كبيرة ، ورُبَّما ترك بعضهم الطعام أياماً عديدة أو غير ذلك مِمَّا يظهر على أيدي بعض الأشخاص أو ما يشتهر به بعض الطوائف كدخول النَّار أو إمساك الأفاعي أو غيرهم ممن ليس له علاقة حتى بدين الإسلام فضلاً عن الولاية والإيمان والتقوى ، فإذا ما رآها من لايعرف أسباب ومقتضيات تلك الأحوال والمخاريق عدها كرامات وأعلام ولاية لأصحابها ، وذلك للمشابهة بين كرامات الصالحين وما يجري على أيدي غيرهم ممن ليس منهم وعندئذٍ يحصل الخلط الكبير بين الأولياء الحقيقيين أهل الإيمان والتقوى الذين لهم كرامات حقيقة تخرق العادة وبين أدعياء دجالين(١٣٥) يظهرون بعض المخاريق الشيطانية أو الحيل على أنها كرامات وهي ليست من الكرامات في شيء .

ومن هنا وقع خطأ المتصوفة في ربطهم الولاية بالكرامة أو ما يشبهها من الأحوال حين يقولون : (( لاتتحقق ولاية بغير كرامة ، وهي أمارة على صدق السلوك ))(١٣٦) ، وعندما يذكرون (( عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون ))(١٣٧) واتخاذهم شعاراً يرفعونه (( كل ما كان معجزة

(١٣٤) ينظر : الصوفية في نظر الإسلام (ص ١٥٤ ، ١٦٤) .

(١٣٥) ينظر : موقف الإمام ابن تيمية من التصوف ص ٢٢٧ ، د / أحمد بناني .

(١٣٦) الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل ص ١٦٨ .

(١٣٧) هذا اللفظ من الأحاديث الموضوعة التي يعتمد عليها المتصوفة . انظر : الصوفية في نظر الإسلام ص ١٦٨ ، سميح عاطف .

لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ))(١٣٨) وغيرها من العبارات التي توحي باعتماد الولاية على ظهور الخوارق ، وبالتالي فقد قسموا الولاية على أساس حصول الكرامات إلى مراتب ودرجات ولهم في كل مرتبة أقوال ونظريات(١٣٩) ، وعلى أساسها يقسمون البلاد والأقطار إلى ما يُمكن أن يسمى بمناطق نفوذ ودوائر اختصاص للسادة الأولياء ، فمن مكان كذا إلى كذا يقع في دائرة الولي الفلاني ، ومن حدود كذا إلى حدود كذا في دائرة الولي الفلاني(١٤٠) ، وهكذا في أنواع ما يحصل لكل ولي من الكرامات لايصح عندهم أن ينافسه فيه أحد غيره (( كاختصاص الرفاعية بإمساك الثعابين وعدم التأثر بسمها ))(١٤١) ، بل قد وصل الحال ببعضهم إلى ادعاء أمور كبيرة لاتجوز حتى للأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فضلاً عن الأولياء (( كما يحكى الشعراني عن علي الخواص أنه كان محل كشفه اللوح المحفوظ ))(١٤٢) .

وقال أحمد التيجاني عن الولي : (( إنه خليفة الله يملكه الله كلمة التكوين حتى قال للشيء كن فيكون من حينه ))(١٤٣) .

---

(١٣٨) الصوفية في نظر الإسلام ، سميح عاطف . ص ١٦٨ .

(١٣٩) كما في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية لابن عربي ، وقد ذكر أربعاً وثمانين طبقة في ذلك . انظر : الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر ، تأليف : علي شود كيفيتش . ترجمة : د . أحمد الطيب .

(١٤٠) ينظر : الصوفية في نظر الإسلام (١٥٣ – ١٨٥) لسميح عاطف .... ط : ٤ الشركة العالمية – لبنان

(١٤١) موقف ابن تيمية من التصوف ص ٢٣٦ .

(١٤٢) نفس المرجع والصفحة . وانظر : أنواع تلك الكرامات في جامع كرامات الأولياء (٥٥/١ – ٦٠) ففيها العجب العجاب

(١٤٣) جواهر المعاني لعلي حرازم (٨/٢) ، وقد نقل الغزالي مثل هذه المقولة عن أحد أقطاب الصوفية . انظر : الإحياء (٣٧٥/٤ – ٣٧٦) ، وذكر مثل هذه الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في النبوات (١٠٣٤/٢) مثل قول بعضهم : (( لايعزب عن قدرته ممكن ، كما لايعزب عن قدرة ربه محال )) ثم قال ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : (( لما كثر في الغلاة من يقول بالحلول والاتحاد وإلهية بعض البشر كما قاله النصارى في المسيح صاروا يجعلون ما هو من خصائص الربوبية لبعض البشر ، وهذا كفر )) ، وقد علم أن هذا القول لغلاة الصوفية وملاحدهم كابن عربي وابن الفارض وابن سبعين ومن قبلهم الحلاج ، وقد نبه شيخ الإسلام إلى قولهم هذا وما ينسجون حول أوليائهم من الخرافات والحكايات التي يضاهئون بها أفعال الله – عزّوجل – ، فيجعلونهم يتصرفون في الأكوان وينفعون ويضرون من دون الله – تعالى –، وقد ذكر ابن عربي في الفصوص (١١٧/٢) أن الولي الصوفي إذا وصل إلى غاية الطريق (( حق له أن يسمي نفسه لا باسم الولي وحده بل بأي اسم من الأسماء الإلهية )) سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم .

وغير هذا مِمَّا يضفي على شخصية الولي الصوفي ما لايخفى أنه محض افتراء ممن قاله ، ومع هذا ففيه محادة لله – تعالى – ورسوله وتكذيب لما جاء به القرآن الكريم من تفرده – سبحانه – بالملك والتدبير – عزّوجل – كما في قوله تعالى : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(١٤٤) ، وقوله – عزّوجل – : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾(١٤٥) لكن هذا الكلام وأمثاله يبين مدى ما وصل إليه حال بعض المتصوفة من اعتمادهم على الكرامات كوسيلة وشاهد على ولاية الشخص ووصوله إلى درجة عالية في ولاية الله تعالى وخلطهم بين أولياء الرحمن وغيرهم ممن ليسوا بأولياء .

[٣] – انقسام المتصوفة في تحديد الحال الذي تحصل فيه الكرامة :

بقي أن نذكر في هذا المقام أن المتصوفة – في تحديد الحال الذي تحصل فيه الكرامة على يد الولي – قد انقسموا إلى طائفتين :

الطائفة الأولى : ترى أن ظهور الكرامة على يدي الولي لايكون إلاّ في حال السكر(١٤٦) وهو في هذه الحالة مغلوب لا طاقة له على الادعاء ؛ لأن الولي قد يطلب الكرامة ولايجدها ، وقد تقع حين لايطلبها ، أمَّا أن يكون في حال الصحو(١٤٧) فهي المعجزة ، وهي وقف على الأنبياء وبالتالي وجب أن لاتظهر الكرامة إلاّ في حالة الغيبة والدهشة حين يكون تصرف الولي كله بتصرف الحق ، (( وإظهار الكرامات لايصح إلاّ في حال الكشف لأنها درجة القرب ، وذلك هو الوقت الذي يستوي لدى الولي فيه الحجر والذهب ))(١٤٨) .

---

وانظر الكلام عليه وعلى مذهبه : الفتاوى (٦٠٦/١١ ، ٦٠٧) ، ومنهاج السنة (٤١٥/٢ – ٤١٦) ، والفرقان (ص ٢٤) ودرء تعارض العقل والنقل (٣٥٥/٥ – ٣٥٧) .

(١٤٤) سورة الأعراف : من الآية ٥٤ .

(١٤٥) سورة الجن : الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(١٤٦) السكر : غيبة بوارد قوي وهو يعطي الطرب والإلتذاذ وهو أقوى من الغيبة وأتم منها . التعريفات للجرجاني ص ١٣٣ .

(١٤٧) الصحو : هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه . التعريفات ص ١٤٤ .

(١٤٨) كشف المحجوب للهجويري (٤٦٠/٢) .

والطائفة الثانية : يقولون لا بل (( إن الكرامة تظهر في حال الصحو والتمكين دون السكر ؛ لأن الله – تعالى – جعل أولياءه للعالم وناط بهم الحل والعقد وصير أحكام العالم موصولة بمهمتهم فوجب أن تكون آراؤهم أصح كل الآراء وقلوبهم أشفق كل القلوب ، وبخاصة على خلق الله ؛ لأنهم واصلون والتلوين(١٤٩) والسكر يكونان في حال الابتداء ، فإذا حصل البلوغ تبدل التلوين بالتمكين ، ومن ثم يكون الولي ولياً حقاً وتكون كراماته صحيحة ))(١٥٠) .

وقد عرض الهجويري (ت ٤٦٥ هـ) لكلا القولين وذكر أصحاب كل قول ثم رجح قول الطائفة الثانية(١٥١) الذين على رأسهم الجنيد ، وبين أن الكرامة تظهر في حال الصحو والتمكين دون السكر على أساس أن ما استند إليه الصوفية من أدلة شرعية في موضوع الكرامة يرتبط كله بحالات صحو تام وإن كل واحد من أهل الكرامات كان على وعي تام بما أجراه الله – تعالى – على يديه ، وناقش أصحاب الرأي الأول وبين أن ما يرتبه أهل هذا القول من أن حصول الكرامة في حال الصحو يحصل فيه خلط بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ليس بلازم ولا ضروري إذ ثمة وجوه أخرى للاختلاف بينهما .

قال الهجويري : (( وأولئك الذين يقولون : إن الذهب والمدر صارا لديهم سواء ، فهذا كله علامة السكر وعدم صحة الرؤية ولايكون في هذا كبير شرف ، فالشرف يكون للصحيح الرؤية الصحيح المعرفة الذي يكون الذهب لديه ذهباً والمدر مدراً ، ولكنه يكون بصيراً بآفاتهما ، حتى ليقول : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ؛ لأني رأيت آفاتكما ))(١٥٢) .

وهذا هو الحق فإن تصرفات المرء إنَّما تحسب عليه في حال الصحو التام ؛ لأن المجنون ومن في حكمه لايصح من عبادته شيء بإجماع العلماء ، بل ولايصح في أمور الدنيا عند عامة العقلاء(١٥٣) .

---

(١٤٩) التلوين : هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة . التعريفات ص ٧٩ .

(١٥٠) كشف المحجوب (٤٦٢/٢) .

(١٥١) نفس المرجع (٤٦٢/٢ – ٤٦٣) .

(١٥٢) كشف المحجوب (٤٦٢/٢) .

(١٥٣) ينظر : الفرقان لابن تيمية ص ٤٨ – ٤٩ .

ويفرق بعض المتصوفة بين صاحب الكرامة وصاحب الاستدراج بأن الثاني يأنس بما ظهر له من خرق للعادة ظاناً أن ذلك من الكرامات فيتمادى في غيه ورُبَّما تطاول على غيره آمناً مكر الله ، وأمَّا الولي صاحب الكرامة فلايحرص على إظهارها ونشرها بل يكتمها غاية جهده(١٥٤) ، ويتضاعف خوفه من الله فيزداد له تذللاً وخضوعاً وطاعة وشكراً له ، ومخافة أن تكون من قبيل الاستدراج(١٥٥) ، وهذا ما عناه الكلاباذي في قوله : (( وأمَّا الأولياء فإنهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شيء ازدادوا لله تذللاً وخضوعاً وخشية واستكانة وازراء بنفوسهم ... ))(١٥٦) .

وهم في جملة هذا الكلام يتفقون مع السلف في حكم إظهار الكرامة ، ولكن ليس ذلك على إطلاقه فإنه قد يكون في إظهارها من الخير ونصرة الحق وقمع الباطل ما لايكون في كتمها وإخفائها ، فإن الكرامة فيها من نصر دين الله – تعالى – وإكرام أوليائه ما دلّ عليه الشرع وثبت بالمشاهدة والخبر المتواتر وإن كانت تفاصيل ذلك آحاداً من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم وثبت من أخبار الأمم قبلنا ، فإن الكرامة قد يتحدى بها كفعل خالد بن الوليد – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – لما شرب السم(١٥٧) ليبين أن دين الإسلام حق ،وكالغلام الذي أتى الراهب وترك السحر وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربه ، وكان قبل ذلك قد خرقت له العادة فلم يتمكنوا من قتله(١٥٨) .

فالحاصل أن من الكرامات ما يظهرها أصحابها فكان في ذلك من المصلحة والنصرة لدين الله وإظهار قدرته ما لايحصل في كتمانها وإخفائها كإظهار العلاء بن الحضرمي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – المشيء على الماء(١٥٩) ، وإظهار عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – مخاطبة سارية بن زنيم على المنبر(١٦٠) ،

---

(١٥٤) ينظر : اليواقيت والجواهر لعبدالوهاب الشعراني (١٦١/١) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٣١٧/٢) ، شرح المقاصد (٧٤/٥) .

(١٥٥) ينظر : نظرية الاتصال ص ٢٠٢ .

(١٥٦) التعرف لمذهب التصوف ص ٧٣ .

(١٥٧) ينظر : معجم الطبراني الكبير (١٢٣/٤ – ١٢٤) ، ومجمع الزوائد (٣٥٠/٩) ، ومجموع الفتاوى (٢٧٧/١١ – ٢٧٨) ، والبداية والنهاية (٣٥١/٦) .

(١٥٨) جاء ذكر ذلك بطوله في صحيح مسلم (٢٢٩٩/٤ – ٢٣٠١) كتاب الزهد والرقاق في قصة أصحاب الأخدود . وانظر : النبوات (١٤١/١) ، ط : أضواء السلف ١٤٢٠ هـ الأولى .

(١٥٩) ينظر : كتاب النبوات (١٣٨/١) .

وإظهار أبي مسلم الخولاني لما ألقي في النّار أنها صارت عليه برداً وسلاماً(١٦١) ، إذاً فليس كتمان الكرامات والخوارق مطلوباً دائماً ولا مأموراً به على الإطلاق بل قد يكون إظهارها هو المطلوب لما يترتب عليه من المصالح .

ومهما يكن فإنّ الولاية والكرامة أولاً وأخيراً هما منحة إلهية وهبة رحمانية ومحض تفضل من الله – عزّوجل – يهبها لمن يشاء ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(١٦٢) فهما لاتكتسبان بكثرة الطاعات ، والاجتهاد في العبادات لأنهما من مواهب الحق لا من مكاسب العبد ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾(١٦٣) ، وهذا القدر اتفق عليه السلف والمعتصمون بالكتاب والسنة من المتصوفة وقد ذكر الهجويري ذلك فقال : (( الكرامة والولاية في الحقيقة من مواهب الحق لا من مكاسب العبد ، فالكسب لايصير علة لحقيقة الهداية ))(١٦٤) ، وهذا ينقض كلام الشعراني المتقدم(١٦٥) الذي يذكر فيه إجماع المتصوفة على خرق العادة لمن خرق العادة بكثرة العبادة ، وقد تقدم كلام السلف في بيان ذلك ، والله الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد وآله .

## الخاتمة في أهم نتائج البحث

ـــ أن خوارق العادات حقائق واقعية ، وأشياء مشاهدة محسوسة نطق بها الكتاب والسنة وشهد بها العقل والحسّ ، وهي من فعل الله – عزّوجل – وحده ولا دخل للخلق في إيجادها على الهيئات التي تقع عليها بل مرد ذلك إلى قدرة الله – عزّوجل – ومقتضى حكمته وعدله .

ـــ أن كرامات الأولياء – مهما بلغت – لاترقى إلى معجزات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ، وإن كان يجمعهما خرق العادة .

ـــ خطأ الصوفية في جعلهم خرق العادة أصلاً للولاية ودليلاً عليها .

---

(١٦٠) الإصابة (٩٨/٤) ، البداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/٧) .

(١٦١) النبوات (١٤٠/١) ، الفتاوى لابن تيمية (٢٧٩/١١) ، وحلية الأولياء (١٢٢/٢) .

(١٦٢) سورة الشورى : من الآية ١٣ .

(١٦٣) سورة آل عمران : من الآية ١٧٩ .

(١٦٤) كشف المحجوب للهجويري (٤٥٩/٢) .

(١٦٥) ينظر ما تقدم ص ١٧ .

ـــ أن مجرد خرق العادة أو حصول الكرامة لايدل على ولاية الشخص لله – تعالى – ولا صلاحه ، بل لابد من معرفة حاله وسبب خرق العادة على يديه لكيلا يلتبس حال الأولياء بحال الأدعياء من السحرة والمشعوذين وأهل الحيل .

ـــ مبالغة الصوفية في ذكر خوارق الأولياء إلى درجة لم يصل إليها أولوا العزم من الأنبياء ، ولا الملائكة الأطهار ، كمن يجعلون محل كشف أوليائهم اللوح المحفوظ ، أو التصرف بكلمة (( كن )) ممَّا لايخفى كذب قائله وافتراؤه على الله – تعالى – .

ـــ مبالغة الصوفية في طلب الكرامات والخوارق إلى حد رُبَّمَا أفسد بعضهم جسمه وعقله في طلبها وحرصهم عليها أكثر من غيرها ، وهذا الحال خلاف ما كان عليه السلف ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله .

## أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

الأشقر : عمر بن سليمان ، ١٤٠٣ هـ : الرسل والرسالات ، دار النفائس – الكويت ، ط : الثانية

الأشقر : عمر بن سليمان ، ١٤١٠ هـ : عالم السحر والشعوذة ، ط : الأولى ، دار النفائس للنشر والتوزيع – الكويت .

الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبدالله : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

الأيجي : القاضي عبدالرحمن بن أحمد – المواقف في علم الكلام ، ط : عالم الكتب – بيروت .

ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج ، ١٤١٩ هـ : تلبيس إبليس ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط : الثانية ، تحقيق : دار السيد الجميلي .

ابن القيم : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ١٣٦٧ هـ : التفسير القيم ، جمع محمد أويس الندوي ، ط : دار العلوم الحديثة – بيروت .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، ١٤١٤ هـ : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيق : مجموعة من الباحثين ، دار العاصمة – الرياض .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب الشيخ : عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ، ط : الرياض ، بدون سنة الطبع .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ١٤٠٣ هـ : مجموعة الرسائل والمسائل ، ط : الأولى ١٤٠٣ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية - بيروت .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، ١٤٠٥ هـ : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، حققه عبدالقادر الأرناؤوط ، دار البيان - دمشق .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، ١٤٢١ هـ : كتاب الصفدية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط : الأولى ، دار الهدي النبوي ، المنصورة - مصر .

ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام : النبوات : تحقيق : د / عبدالعزيز صالح الطويان ، مكتبة أضواء السلف - الرياض ، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، وط : السلفية ، بدون سنة الطبع .

ابن حزم الظاهري : علي بن أحمد بن حزم : المحلى ، ط : مطبعة بيروت ، بدون سنة الطبع .

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، ١٩٧٩م : المقدمة ، ط : دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

ابن قدامة : أبو محمد عبدالله بن أحمد : المغني ، ط : مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

ابن كثير : إسماعيل بن عمر ١٣٥١ هـ : البداية والنهاية ، مكتبة السعادة .

ابن منظور : محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، ١٣٨٨ هـ : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت - لبنان .

البستاني : المعلم بطرس : محيط المحيط ، مطبعة بيروت ، سنة ١٨٧٠ م .

البغدادي : عبدالقاهر بن طاهر بن محمد ١٤٠١ هـ : أصول الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : ٣

بناني : د / أحمد بن محمد ، ١٤٠٦ هـ : موقف ابن تيمية من التصوف ، ط : الأولى ، دار العلم للطباعة والنشر .

التفتازاني : سعد الدين مسعود بن عمر ، ١٤٠٩ هـ : شرح المقاصد ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط : الأولى .

الجرجاني : أبو الحسن علي بن محمد ، ١٤٠١ هـ : التعريفات ، وضع فهارسه وحواشيه : محمد باسل عيون السود ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية – بيروت .

الجصاص : أبو بكر أحمد بن علي الرازي : أحكام القرآن ، دار الكتاب العربي – لبنان .

جلوي : سارة بنت عبدالمحسن ، ١٤١١ هـ : نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ، ط : الأولى ، دار المنار – جدة .

حبنكة : عبدالرحمن حسن الميداني ، ١٣٨٥ هـ : العقيدة الإسلامية وأسسها ، ط : الأولى .

حلمي : محمد مصطفى ، ١٤٠٣ هـ : ابن تيمية والتصوف ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية .

الحميضي : عبدالرحمن بن إبراهيم ، ١٤٠٢ هـ خوارق العادات في القرآن الكريم ، عكاظ للنشر والتوزيع ، جدة ط : الأولى

الخميس : محمد عبدالرحمن ١٤١٦ هـ : أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ، الطبعة الأولى ، دار الصميعي – الرياض .

الذهبي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

الرازي : محمد بن عمر ، قصة السحر والسحرة : أخرجها من تفسيره محمد إبراهيم سليم ، ط : مكتبة القرآن ، القاهرة ، ط : الأولى .

الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، ١٣٨١ هـ : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، ط : البابي الحلبي – مصر .

الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر : أساس البلاغة ، ط : دار الفكر – بيروت .

الزين : سميح عاطف ، ١٤١٣ هـ : الصوفية في نظر الإسلام ، دراسة وتحليل ، ط : الرابعة ، الشركة العالمية ، دار الكتاب العلمي – بيروت .

سالم : محمد رشاد : مقارنة بين الغزالي وابن تيمية ، ط : دار القلم ، الدار السلفية – الكويت .

السبكي : تقي الدين : طبقات الشافعية ، دار الفكر – بيروت .

السعدي : الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤسسة السعدية ، الرياض ، بدون سنة الطبع ، ط : مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ ، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية – المملكة العربيَّة السعوديَّة .

السفاريني : محمد بن أحمد ١٤٠٥ هـ : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ، بتعليق عدد من العلماء ، ط : المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان .

السلمان : الشيخ عبدالعزيز بن محمد ، ١٣٩٨ هـ : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، ط : السادسة ، الرياض الحديثة – الرياض .

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن : الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، مصر ، بدون سنة الطبع .

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، ط : مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة .

الشاطبي : إبراهيم بن موسى بن محمد – الموافقات في أصول الشريعة ، نشر دار المعرفة بيروت ، بيروت ، بدون سنة الطبع .

الشعراني : عبدالوهاب بن أحمد ، ١٣٥١ هـ : اليواقيت والجواهر ، ط : دار الفكر .

الشوكاني : محمد بن علي ، ١٣٩٧ هـ : قطر الولي على حديث الولي ، تحقيق : د . إبراهيم هلال ، نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

الطبراني : الحافظ سليمان بن أحمد ، ١٣٩٨ هـ : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي السلفي ، الدار العربية بغداد ، ط : الأولى .

الطوسي : أبو نصر عبدالله بن علي السرَّاج : اللمع ، تحقيق وتعليق : د / عبدالحليم محمود ، دار المصري للطباعة – مصر ، بدون سنة الطبع .

ظهير : إحسان إلهي ، ١٤٠٦ هـ : التصوف المنشأ والمصادر ، ترجمان السنة – لاهور ، باكستان .

العبده : محمد العبده وطارق عبدالحكيم ، ١٤٠٦ هـ : الصوفية نشأها وتطورها ، دار الأرقم – الكويت ، ط : الأولى .

عتر : حسن ضياء الدين ، ١٣٩٥ هـ : المعجزة الخالدة ، ط : الأولى ، دار نصر .

العربي : علي حرازم بن العربي ، ١٤٠٨ هـ : جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني ، دار الجيل - بيروت .

العسقلاني : أحمد بن علي المصري ، المعروف بابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر ، ١٣٨٠ هـ : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط : السلفية - القاهرة .

الغزالي : محمد بن محمد : تهافت الفلاسفة ، ط : الخامسة ، دار المعارف - مصر ، تحقيق : سليمان دنيا .

الفوزان : د / صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ، ١٤٢٢ هـ : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، ط ٧ ، دار ابن الجوزي ، الرياض .

الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقرئ ، ١٩٨٧ م : المصباح المنير ، مكتبة لبنان .

القاضي عبدالجبار : أبو الحسين عبدالجبار الهمذاني - المغني في أبواب التوحيد والعدل ، جـ ١٥ ،ط : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون سنة الطبع .

القرافي : شهاب الدين أحمد بن إدريس : الفروق ، ط : عالم الكتب ، بدون سنة الطبع .

القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ، ١٣٨٧ هـ : الجامع لأحكام القرآن ، طبع دار الكتب المصرية - مصر

القشيري : أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن ، ١٩٧٤ م : الرسالة القشيرية ، دار الكتاب العربي - بيروت ، وأخرى ط : دار الكتاب العربي - بيروت ، بدون سنة الطبع .

القشيري النيسابوري : الإمام مسلم بن الحجاج ، ١٤٠٣ هـ : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر - لبنان .

الكلاباذي : تاج الإسلام أبو بكر محمد ، ١٤٠٠ هـ : التعرف لمذهب التصوف ، دار الكتب العلمية - بيروت .

كيفيتش : علي شود ١٩٨٦ م : الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي ، ترجمه من الفرنسية ، د / أحمد الطيب ، دار القبة الزرقاء ، مراكش - المغرب .

شفقة : محمد فهر ، ١٤٠٣ هـ : التصوف بين الحق والخلق ، الدار السلفية – الكويت .
ميهوب : سيد عبدا لستار ، ١٩٩٦ م : القرآن والنبوة ، ط : دار الهداية – القاهرة .
النبهاني : يوسف بن إسماعيل ، ١٤١٤ هـ : جامع كرامات الأولياء ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، دار الفكر – بيروت .
النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف : روضة الطالبين ، ط : المكتب الإسلامي – بيروت .
الهجويري : علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٥ هـ : كشف المحجوب ، دراسة وترجمة وتعليق : إسعاد عبدالهادي قنديل ، الشؤون الإسلامية ، جمهورية مصر العربية .
الهيثمي : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، بدون سنة الطبع .